@ 665 @ عظيما) ^ لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول صلى ا عليه وسلم ، وعقابهن لو قدر عدم الامتثال ، وأنه ليس مثلهن أحد من النساء ، وذكر بقية النساء غيرهن . ولما كان حكمهن وحكم الرجال واحد ، جعل الحكم مشتركا فقال : ^ (إن المسلمين والمسلمات) ^ وهذا في الشرائع الظاهرة ، إذا كانوا قائمين بها . ^ (والمؤمنين والمؤمنات) ^ وهذا في الأمور الباطنة ، من عقائد القلب وأعماله . ^ (والقانتين) ^ أي : المطيعين ولرسوله ^ (والقانتات والصادقين) ^ في مقالهم وفعالهم ^ (والصادقات) ^ . ^ (والصابرين) ^ على الشدائد والمصائب ^ (والصابرات والخاشعين) ^ في جميع أحوالهم ، خصوصا في عباداتهم ، ولا سيما في صلواتهم ^ (والخاشعات) ^ . ^ (والمتصدقين) ^ فرضا ونفلا ^ (والمتصدقات والصائمين والصائمات) ^ شمل ذلك ، الفرض والنفل . ^ (والحافظين فروجهم) ^ عن الزنا ومقدماته ، ^ (والحافظات) ^ . ^ (والذاكرين ا كثيرا) ^ أي : في أكثر الأوقات ، خصوصا أوقات الأوراد المقيدة ، كالصباح والمساء ، أو بالصلوات المكتوبات ^ (والذاكرات) ^ . ^ (أعد ا لهم) ^ أي : لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة ، والمناقب الجليلة ، التي هي ما بين اعتقادات ، وأعمال قلوب ، وأعمال جوارح ، وأقوال لسان ، ونفع متعد وقاصر ، وما بين أفعال الخير ، وترك الشر ، الذي من قام بهن ، فقد قام بالدين كله ، ظاهره وباطنه ، بالإسلام والإيمان والإحسان . فجزاهم على عملهم ^ (مغفرة) ^ لذنوبهم ؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات . ^ (وأجرا عظيما) ^ لا يقدر قدره ، إلا الذي أعطاه ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نسأل ا أن يجعلنا منهم . ^ (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى ا ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص ا ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ^ ^ (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) ^ أي : لا ينبغي ولا يليق ، من اتصف بالإيمان ، إلا الإسراع في مرضاة ا ورسوله ، والهرب ، من سخط ا ورسوله ، وامتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما . فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ^ (إذا قضى ا ورسوله أمرا) ^ من الأمور ، وحتما به وألزما به ^ (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ^ أي : الخيار ، هل يفعلونه أم لا ؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة ، أن الرسول أولى به من نفسه . فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابا بينه وبين أمر ا ورسوله . ^ (ومن يعص ا ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ^ أي : بينا ؛ لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة ا ، إلى غيرها ، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم . فذكر أولا ، السبب الموجب لعدم معارضة أمر ا ورسوله ، وهو الإيمان . ثم ذكر المانع من ذلك ، وهو التخويف بالضلال ، الدال على العقوبة والنكال . ^

(وإذ تقول للذي أنعم ا عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ا وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيآئهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر ا مفعولا) ^ وكان سبب نزول هذه الآيات ، أن ا تعالى ، أراد أن يشرع شرعا عاما للمؤمنين ، أن الأدعياء ليسوا في حكم الأبناء حقيقة ، من جميع الوجوه وأن أزواجهم ، لا جناح على من تبناهم ، في نكاحهن . وكان هذا من الأمور المعتادة ، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير ، فأراد أن يكون هذا الشرع قولا من رسوله ، وفعلا ، وإذا أراد ا أمرا ، جعل له سببا . فكان زيد بن حارثة يدعى (زيد بن محمد) قد تبناه النبي صلى ا عليه وسلم ، فصار يدعى إليه حتى نزل : ^ (ادعوهم لآبائهم) ^ فقيل له : (زيد بن حارثة) . وكانت تحته ، زينب بنت جحش ، ابنة عمة رسول ا صلى ا عليه وسلم ، وكان قد وقع في قلب الرسول ، لو طلقها زيد ، لتزوجها . فقدر ا أن يكون بينها وبين زيد ، ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة ، يستأذن النبي صلى ا عليه وسلم في فراقها . قال ا : ^ (وإذ تقول للذين أنعم ا عليه) ^ أي : بالإسلام ^ (وأنعمت عليه) ^ بالعتق والإرشاد ، والتعليم ، حين جاءك مشاورا في فراقها : فقلت : له ناصحا له ومخبرا بمصلحته ، مقدما لها على رغبتك ، مع وقوعها في قلبك : ^ (أمسك عليك زوجك) ^ أي : لا تفارقها ، واصبر على ما جاءك منها . ^ (واتق ا) ^ تعالى في أمورك عامة ، وفي أمر زوجك خاصة فإن التقوى تحث على الصبر ، وتأمر به . ^ (وتخفي في نفسك ما ا مبديه) ^ والذي أخفاه ، أنه لو طلقها زيد ، لتزوجها صلى ا عليه وسلم . ^ (وتخشى الناس) ^ في عدم إبداء ما في نفسك ^ (وا أحق أن تخشاه) ^ . فإن خشيته جالبة لكل خير ، مانعة من كل شر . ^ (فلما قضى زيد منها وطرا) ^ أي : طابت نفسه ، ورغب عنها ، وفارقها . ^ (زوجناكها) ^ وإنما